أَيُّهَا المُسْلِمُونَ المُحْتَرَمُون،

كُلُّنَا نَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ: ﴿**اِقْرَأْ**﴾[1]. فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَقْرَأَ كُلَّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ، فَذَكَّرَنَا أَنَّهُ تَعَالَى دَاخِلٌ فِي كُلِّ أُمُورِ حَيَاتِنَا. فَنَحْنُ كَمُسْلِمِينَ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا مَجَالَ خَالٍ مِنْ قُدْرَتِه. فَيَقْدِرُ عَلَيْنَا كَمَا يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِنَا. فَلَا يَسْتَقِلُّ عَنِ اللهِ خَلْقُنَا وَلَا تَقَدُّمُنَا وَلَا تَعَلُّمُنَا وَلَا مَعِيشَتُنَا وَلَا مَوْتُنَا.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ الكِرَام،

فَكَيْفَ يَدُلُّنَا اللهُ تَعَالَى إِلَى هٰذِهِ الحَقَائِقِ الَّتِي نَحْنُ بِهَا عَالِمُونَ وَالَّتِي نَتَلَفَّظُهَا بِأَلْسِنَتِنَا دَائِمًا؟ إِذَا أَرَدْنَا إِدْرَاكَ مُدَاخَلَةِ اللهِ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَإِنَّ السَّبِيلَ إِلَى ذٰلِكَ هُوَ مَعْرِفَةُ أَنْفُسِنَا. فَإِنَّهُ ثَبَتَ فِي ثَقَافَتِنَا الَّتِي اسْتِمْدَادُهَا السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ أَنْ: «**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، عَرَفَ رَبَّهُ**» فَإِنَّنَا إِذَا عَرَفْنَا جَهَالَتَنَا سَنَعْرِفُ عِلْمَ اللهِ المُطْلَق. وَإِذَا عَرَفْنَا فَنَاءَنَا سَنَعْرِفُ بَقَاءَ اللهِ تَعَالَى. وَإِذَا عَرَفْنَا عَجْزَنَا وَضَعْفَنَا سَنَعْرِفُ قُدْرَةَ اللهِ تَعَالَى وَقُوَّتَه. وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: "مَنْ أَعْرَفُ النَّاسِ بِرَبِّهِ؟" قَالَ: «**أَعْرَفُهُمْ بِنَفْسِهِ**»[2]

إِخْوَتِي الأَعِزَّاء،

مَا هُوَ أَهَمِّيَّةُ مَعْرِفَةِ النَّفْس؟ رَبَطَ رَبُّنَا تَعَالَى إِصْلَاحَ المُجْتَمَعِ إِلَى إِصْلَاحِ الأَفْرَادِ مِنْهَا أَخْلَاقًا وَسُلُوكًا فَقَال: ﴿**ذٰلِكَ بِاَنَّ اللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً اَنْعَمَهَا عَلٰى قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مَا بِاَنْفُسِهِمْ وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[3]

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَفْتَحَ أَبْوَابَ الإِصْلَاحِ لِعَائِلَاتِنَا الَّتِي هِيَ لُبُّ المُجْتَمَعِ وَأَصْدِقَاءِنَا وَجَمَاعَتِنَا وَأُمَّتِنَا وَالمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ بِأَنْفُسِنَا أَوَّلًا. إِذًا نَعْلَمُ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ نَفْعَلَ فِي أَيِّ وَقْتٍ وَبِأَيِّ طَرِيقَةٍ وَإِذًا نَصْلُحُ لِنَكُونَ قُدْوَاتٍ حِسَانًا وَسَابِقِينَ فِي نَشْرِ الخَيْر. فَإِنَّ العَكْسَ إِعْرَاضٌ عَنِ الطَّرِيقَةِ المُثْلَى الَّتِي اِرْتَضَاهَا رَبُّنَا تَعَالَى، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرٰهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾[4]

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ القَيِّمُون،

إِذَا أَرَدْنَا تَهْذِيبَ أَخْلَاقِنَا وَتَحْسِينَ سُلُوكِنَا وَتَقْوِيَتِهِ فَلَا بُدَّ لَنَا مِنَ التَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَحْقِيقِهَا فِي كُلِّ سَاحَةِ حَيَاتِنَا. فَإِنَّ سَيِّدَنَا النَّبِيَّ ﷺ كَانَ القُدْوَةَ المُثْلَى وَالمُعَلِّمَ الأَكْمَلَ لِمَعْرِفَةِ اللهِ بِطَرِيقَةِ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَإِقَامَةِ الدِّين. وَعَلَيْنَا أَنْ نُطَبِّقَ ذٰلِكَ فِي حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّةِ بِالتَّبَسُّمِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَتَرْكِ اللَّغْوِ لِمَا يَنْفَعُنَا، وَالتَّفْرِيجِ عَنْ إِخْوَانِنَا وَلَوْ فِي صَغِيرٍ، وَإِحْسَانِ الوَالِدَيْنِ، وَزِيَادَةِ العِبَادَةِ بِاللَّيْلِ، وَرِعَايَةِ الصَّلَاةِ، وَخِدْمَةِ المَسَاجِدِ وَزِيَادَةِ التَّوَاجُدِ فِي هٰذِهِ الأَمَاكِن.

وَلَا نَنْسَ أَنَّهُ كَمَا لَا تَكْثُرُ القَبَائِحُ الَّتِي تُفْسِدُ المُجْتَمَعَ إِلَّا بِنَشْرِهَا كَذٰلِكَ لَا تَحْكُمُ الخَيْرَاتُ عَلَى المُجْتَمَعِ إِلَّا بِنَشْرِهَا. فَجَعَلَنَا اللهُ مِنَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَنْفُسَهُمْ وَالَّذِينَ يُكْثِرُونَ الخَيْرَات. **آمين**

IGMG

---

[1] سورة العلق:١

[2] الماوردي: أدب الدّين والدّنيا - انظر كشف الخفاء (٢٥٣٢)

[3] سورة الأنفال:٤٩

[4] سورة البقرة:١٣٠